حرب الفيتنام و « الهيبي » ...

... وطراز الحياة الأميركي !

بقلم أرنولد توينبي

ادلى المؤرخ البريطاني الكبير ارنولد توينبي بحديث الى مراسل « لايف » في لندن تناول فيه الحياة في الولايات المتحدة ، سياسيا وعسكريا واجتماعيا . وتقدم «الاداب» ترجمة كاملة لهذا الحديث .

ـ هل لك ان تحدثنا ، يا سيد توينبي ، عما تغير ـ في رأيك ـ اكبر التغير في الولايات المتحدة ، في هذه السنوات الاخيرة ؟

ـ في رأيي انه قد حدث من التغيرات في الاشهر الاربعة والعشرين الاخيرة اكثر مما حدث في الاربعين سنة السابقة . لم اكن قد عدت الى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٥ . ومنذ عامين ، كان الناس الذين بلغوا سنا معينة يعتقدون انفسهم غير قابلين للجرح او للاقتلاع . كان بامكان اميركا ان تتخطى العقبة الفيتنامية في سيرها، كأية عقبة اخرى . كان طراز الحياة الاميركية هو النموذج، وهو مقياس المستقبل . وبقدر ما يمضي وينتشر ، كان سائر العالم يقتبس مثال الولايات المتحدة ، في حدود امكاناته ، وكان الامر كذلك حقا .

اما التغير الآن ، فهو جذري . صحيح ان الرأي العام ما يزال متوزعا بين الصقور والحمائم ، ولكن الفريقين كليهما ، بلا استثناء ، قلقان مضطربان . لقد اهتزت اميركا ، في هاتين السنتين الاخيرتين ، اهتزازا عنيفا ، من الداخل ومن الخارج . ان رجل الشارع مستاء، شقي . والشبان ثائرون ، بكل صراحة وتبصر ، على الذين يكبرونهم في السن ، وقد كانت الاضطرابات الفاجعة التي تعرفونها ضربة شديدة بالنسبة لاصدقائي من الاميركيين ، أشق على الاحتمال من حرب الفيتنام . ان انفجار العنف قد ضربهم كطلقة مسدس . ذلك انهم اصيبوا من ذلك اصابة مباشرة صميمية . ان هذا النوع من الاحداث كان يكون غير معقول، ليس فقط عام ١٩٢٥، بل حتى عام ١٩٦٥ ، بهذه الدرجة على الاقل . لقد عاشت اميركا ، طوال سنوات ، في طمأنينة كاذبة ، في رضى خادع ، وهذا كله هو الذي ينهار اليوم .

ـ هل كنت قد لاحظت ، في زياراتك السابقة ، هذه « الطمأنينة الكاذبة » ؟

ـ نعم . فبصفتي مؤرخا ، أعرف كم هي قصيرة فترات التوازن في صيرورة المجتمعات البشرية . ان تآكل القلق مرتبط ارتباطا وثيقا بالانسان . ولقد كان الاميركيون يعتقدون بأن الولايات المتحدة كانت الجنة على الارض . اما انا ، فلم اعتقد يوما بأن أي مجتمع بشري كان او يمكن ان يكون جنة . وكان لا بد من توقع انهيار الحلم ، عاجلا ام آجلا .

ـ هل هذا شر ؟

ـ بالطبع لا . بل هو خطا ان يعيش المرء في الوهم . لقد كانت اميركا مفرطة الثقة بنفسها . وها هي الآن في طريق الشفاء .

ـ هل استطعت ان تلاحظ علامات اخرى مشجعة في الولايات المتحدة ؟

ـ لقد شاهدنا نموا وازديادا للروح النقدية . وهذا بلا ريب شيء جيد . وكذلك حدث تغير في سلوك الجيل الطالع . وانا لا اقصد هنا فقط أصحاب الحركة «الهبيّة»: فليس هذا الا الناحية المسرحية من الامر ، العشر الطافي من جبل الثلج . وانما اقصد جموع هذا الجيل الذي يعطي الدليل على وعي حقيقي جاد .

لقد التقيت في ستانفورد عددا من الطلبة لا يتميزون بشيء عن الاخرين في سلوكهم او في ملبسهم ، ولكن بينهم وبين طراز حياتهم الخاص ومثل آبائهم العليا انفصاما تاما . انهم لا يظهرون هذه الثورة بمثل العنف الذي تظهر به لدى المتطرفين، ولكن الانفصام بارز واضح . وكنت قد سمعت حديثا طويلا عن منافسة ضارية كانت تقوم بين الطلاب للاجابة على طلبات الاستخدام التي كانت الشركات الكبرى تعرضها . اما اليوم ، فحين ترسل هذه الشركات نفسها ممثليها الى الجامعات، فان هذه الجامعات تجد اشد الصعوبات للعثور على مرشحين للوظائف المعروضة . فاذا كان هذا صحيحا ، فاني اجرؤ على القول بأن هذا حدث هام ـ بل دراماتيكي .

تريدون مثلا ؟ لقد عرفت شابا كانت أسرته تشغل

مركزا هاما في الحياة التجارية بلوس انجلوس . وقد تخلى عن كل مطامعه في حرم الجامعة . ولم يستطع ذووه ان يفهموا كيف استطاع ان يفضل حياة اخرى على المركز اللامع الذي كان ينفتح امامه . انهم لا يقرون ان يتخلى عن المال وعن كل ما يتبع ذلك ، ولكن الواقع انه انما كان يرفض ان يجعل من المال هدف حياته .

وعرفت طالبا آخر من جامعة «غرينيبل» في الايوا، كان يرغب في ان يصبح طبيبا ، ولكنه لم يكن يقر الروح التي تسود المهنة في الولايات المتحدة . ان من الطبيعي ان يكسب الطبيب حياته كأي شخص اخر ، ولكنه انما يدفع له أجر لان مهنته نافعة للانسانية . غير ان الاطباء الاميركيين قد فقدوا هذه الفكرة الى حد كبير : فالمال هو هدفهم الاوحد في الحياة . هذا ، على الاقل ، ما كان يبدو لهذا الشاب . ولهذا ، فقد أراد أن يبدأ بقضاء عامين في الهند ، في قريه هندية ، يقدم فيهما للسكان ابسط انواع العناية الطبيه . وحين ينهي دراسته ، فان في نيته ان يعمل في مستشفى بدلا من ان « يربي الزبائن » .

ان الشبان الاميركيين يستفظعون القيم التي يؤمن بها ذووهم. ربما كانت كلمة يستفظعون اقوى مما ينبغي. فلنستبدلها بـ « ينفرون » من هذه القيم .

ان مما يلفت النظر ان نلاحظ الى أي حد قصرت فترة ما سموه بـ « طراز الحياة الاميركية » بخصائصه المميزة : حضارة المدن الكبرى بكلما تقدمه من التيسيرات، من الكهرباء الى التلفون ، الى التلفزيون ، وكذلك الى التمييز الطبقي . والحق انه لا حاجة الى حك اكثر من جيلين او ثلاثه لنجد تحت جلد « رجل الاعمال » الذي يرمز الى طراز الحياة الاميركية ، جده «الفلاح القروي».

— لقد ذكرت منذ قليل الاضطرابات في الولايات المتحدة . هل بامكاننا ان نصفها حقا بأنها اضطرابات عنصرية ، ام انها اكثر شبها بالاضطرابات الاجتماعية ؟

— انكم ، انتم الاميركيين ، تفضلون ان تروا فيها شيئا اخر يختلف عن الاضطرابات العنصرية . والحقيقة انها كذلك ، في التحليل الاخير ، ولكن الامر يتعدى ان تكون فحسب مسألة عنصرية . فاذا ولدت أسود في الولايات المتحدة ، فان نصيبك من الحلوى هو ، في البدء، اقل . ومن الممكن جدا ان تكون واحدا من هذه الـ ١٠ الى ٢٠ بالمئة من الاميركيين الذين لم يبلغوا مستوى « طراز الحياة الاميركي » . وان يكون المرء فقيرا في الولايات المتحدة أسوأ من أن يكونه في أي مكان اخر . انه لشيء فظيع ان لا يكون الانسان «مشاركا» في الولايات المتحدة، وهذا افظع من أي مكان اخر كالهند مثلا حيث معظم السكان « غير مشاركين » . وان يكون المرء جزءا من اقلية محرومة لا يحق لها ان تدلي برأيها الا بواسطة العنف ، فتلك أبأس طرق الفقر وأبعثها على اليأس .

ان المشكلة العنصرية في الولايات المتحدة هي اليوم مشكلة فاجعة ، ما دام المثل الاعلى للدمج بوسائل لاعنفية — وهو المثل الذي يجسده امثال مارتن لوثر كنغ — يتقهقر امام المثل الاعلى العنفي الذي يبنيه داخل المجتمع مجتمع مضاد . وهذا قد يؤدي الى نوع من الحرب الاهلية الموضعية في كبريات المدن الاميركية اذ تعمد المجتمعات المضادة السوداء الى بناء حضارتها الخاصة وطراز حياتها الخاص . وذلك هو الخطر الذي يتهدد اميركا .

— ولكن ما الذي آل اليه المثل الاعلى التحرري الاميركي ؟ أمن المستحيل ان نصل (ولو ببعض الآلام) الى مجتمع مندمج تعيش فيه الاجناس جنبا الى جنب ، ممتزجة ؟

— ممتزجة ؟ هل تحلم . أم لا ، بزيجات بين الاجناس؟ الحق ان الولايات المتحدة تجد نفسها ، في هذا المجال ، في موقف مزيف . خذ مثل المكسيك . ان ٨٧ بالمئة من سكانها تقريبا هم من الخلاسيين . والدم الهندي عندهم أطغى من الدم الاسود ، ولكن بامكاننا مع ذلك ان نتحدث عن الامتزاج والاختلاط هناك . والواقع ان نصف مليون نسمة من البيض والسود نزلوا على شواطىء المكسيك في المرحلة الاستعمارية . وهم اليوم من شدة الامتزاج بحيث لا تجد الا نادرا رجلا مكسيكيا من جنس اسود محض او من جنس ابيض محض . لقد خلقت الزيجات بين الاجناس امة موحده في المكسيك .

وانظر الى البرازيل . لقد كان السود فيها عبيدا حتى ١٨٦٠ ، اي الى فترة ابعد مما كانوا في الولايات المتحده . ومع ذلك ، فليس في البرازيل اي تمييز عنصري . وكيف يكون ذلك حين يكون الشعب مكونا من بيض وسود وما بين ذلك من فروق مختلفة ؟

اني لا استطيع ان اشرح السبب ، ولكن بعض العروق عرقية وعنصرية ، وبعضها الآخر ليس كذلك . **وعلى رأس الجماعات العنصرية نجد البراهمانيين الهندوكيين ، يتبعهم اليهود ، ثم الالمان ، ثم الشعوب ذات اللغة الانكليزية والنيرلندية** . ويبدو اننا غير قادرين على التغلب على هذه العنصرية « الاحشائية » ، في حين ان هناك شعوبا اخرى بريئة منها كل البراءة . وليست الاختلافات الجسدية هي وحدها التي تقوم عقبة في وجه الزيجات . ان هناك كذلك قضية ثقافة . وقد عرفت في نيجيريا حالة امرأتين بيضاوين متزوجتين من نيجيريين. كان الاول مدير مستشفى ، وكان الآخر عميد جامعة . كان كلاهما رجلا مثقفا وذا مركز مرموق . وكذلك زوجتاهما . كان أي اختلاف عنصري ، في هذه الحالة ، منسيا . فان مستوى ثقافيا متماثلا ورفيعا كان قد قضى عليه .

— اتلك هي الطريقة الوحيدة للقضاء على التمييز ؟ هل من المستحيل الوصول الى مجتمع مندمج من غير المرور بحل الزيجات بين الاجناس ؟

— نعم ، ان بقاء مجتمع ما رهن بذلك . فبالرغم من جميع الجهود التي بذلها غاندي ، لم تتخلص الهند من

نظام الطبقات . ان الهند ليست مندمجة ، بالرغم من قيام بعض الامتزاجات . وفي معظم القرى الهندية يعيش رجال القبائل الاشد انحطاطا والرجال الذين «لا يمسون» في تمايز كامل . فاولئك لا يمتحون الماء من الآبار التي يستعملها هؤلاء ، والعكس بالعكس . وهذا أمر قبيح . والحال ان هذه هي الدرب التي يبدو ان الولايات المتحدة تسلكها ، على غرار افريقيا الجنوبية وروديسيا . وذلك أسوأ انواع الانقسامات التي يمكن ان تسود داخل مجتمع ما .

— ما الذي يدعوك الى القول بأن الولايات المتحدة تسلك هذه الدرب ؟

— ليس امام من يرفض الذوبان بكل نتائجه الا حل واحد : التمييز . ولكن كيف تطبقه ؟ ان السود مزروعون في قلب كل مدينة اميركية كبيرة . ولا بد لكم من ان تطردوا السود ، بالقوة ، من المدن الكبرى وان يخلي البيض الالاباما والميسيسيبي ، مثلا ، وان يشرع قانون يقول : « سنجعل جميع السود يقيمون هنا ، ولسنا نريدهم في أي مكان آخر » ايمكن ان يواجه هذا وان يكون ممكنا عمليا ؟

ومع ذلك ، فاذا مارستم التمييز وظللتم تعيشون في المدن نفسها ، فانتم ماضون نحو حالة من الحرب الاهلية الدائمة في كل مدينة اميركية كبيرة ، وهذا ما نراه يتفاقم تحت أعيننا . والحق ان اميركا لن تصمد لمثل هذه الازمة . انكم لا تستطيعون ان تتركوا ايديولوجية المسلمين السود تنتصر وان يتحقق برنامج يقول : «سنصبح عنصريين كالبيض سواء بسواء . سنرفض الزيجات مع البيض بمثل الضراوة التي ترفضون بها الزيجات مع السود . وسنشكل مجتمعا منفصلا عن مجتمعكم — يعلن عليه الحرب » .

ألم يقم سباق بين هذه الايديولوجية وبين فكرة الاندماج ؟ اعود هنا الى الزوجين النيجيريين اللذين سبق ان ذكرتهما . ان هناك سباقا يجري بين الايديولوجية الانفصالية والتدابير التي من شأنها تحقيق انتصار سياسة الاندماج . فلو ان السود لم يكونوا مقيدين منذ البدء لكان مستوى حياتهم كمستوى البيض ولخف التوتر العنصري في الحال . فبقدر ما تتقارب المستويات الثقافية ، يضعف شأن الاختلافات العنصرية ، وبالقدر نفسه يسهل الدمج ، بما في ذلك اكمل صور الدمج : الزيجات بين الاجناس .

— ان الولايات المتحدة هي ، بالرغم من كل شيء ، امة اسطورية الغنى ، والاميركيون يعتبرون شعبا سخيا . . .

— اسمح لي أن أقاطعك لاعلن لك موافقتي : فبالرغم من ان الاميركيين يحبون المال ، فهم يتعجلون توزيعه بقدر ما هم جشعون في كسبه .

— اذا اقررنا ذلك ، فكيف يحدث الا تجد الولايات المتحدة وسيلة تمكن بها الاقلية الفقيرة من المشاركة في الغنى العام ؟ ما الذي منعها من حل هذه المسألة ؟

— بعبارة اخرى ، لماذا يصعب جدا الحصول من الكونغرس على اعتمادات من اجل المجتمع العظيم ، ويسهل جدا الحصول على اعتمادات من اجل حرب الفيتنام ؟ الحقيقة اني غالبا ما طرحت هذا السؤال على نفسي من غير ان اجد الجواب .

لقد كان الاغنياء ، في كل زمان ومكان ، يفضلون دائما الانفاق على التسلح اكثر من الانفاق على الرخاء والسعادة . وهم اقل احتجاجا على ضرائب الحرب منهم على الضرائب ذات الهدف الاجتماعي . انهم يؤثرون القاء القنابل بفن على رؤوس الاجانب الذين لا يطلبون ذلك بهذا القدر ، على ان يقدموا الهدايا لمواطنيهم بشكل شقق للسكنى وزيادة في الرواتب . وقد كان ذلك صحيحا بالنسبة الينا ايضا . ان هذا مرتبط اشد الارتباط بالطبيعة البشرية . لماذا ؟ انني لا افهم السبب .

ان اميركا غنية بما فيه الكفاية لترفع فقراءها ، بلا صعوبة ، الى مستوى الرخاء القومي . بل هي تملك ما يمكنها من ان تنقذ من البؤس قسما كبيرا من البشر . فلماذا لا تفعل ذلك ؟ اعتقد اننا نمس هنا مأساة الرئيس جونسون الذي كان يود ان يظهر في التاريخ على انه الرجل الذي خلق المجتمع الكبير ، والذي يوشك ان يبقى « جونسون الحرب » . فلماذا يتابع الحرب ؟ لماذا يزداد كل يوم استغراقا فيها ؟ ولماذا يدعمه الشعب الاميركي في هذه المغامرة ؟

ان الكبرياء ليست ذات أثر ضئيل في الامر . وهذه نقطة ما زلت اصطدم بها كلما ناقشت موضوع حرب الفيتنام مع اميركيين . انهم يقولون لي ، في آخر الامر : « نعم ، انت على حق . هذه غلطة ، وهذه قذارة ، وهذه محنة شديدة بالنسبة لنا . ولكن اميركا لم تخسر حربا قط ، وليس في نيتنا ان نبدأ هذا الطريق . » كبرياء قومية وخاصة : **ان اميركا هي الجنة على الارض، وتاريخها سلسلة من النجاح يجب الا تنقطع** . انني آمل ان تتغير هذه العقلية يوما .

وصميم القضية اننا ، نحن الانكليز ، معتادون على الهزائم . لقد وجدنا جان دارك تجاهنا ، وقد هزمتمونا في حربكم الاستقلالية . وقد كان للفرنسيين واترلو وما تبعها . وتعرف معظم البلدان — باستثناء بلدكم — انها قد عاشت هزائم هائلة بل ارتكبت جرائم فظيعة ، ولكنها مع ذلك قد تغلبت عليها . واعتقد ان نقطة الانطلاق هذه أسلم .

سوف يبقى ديغول رجلا عظيما في التاريخ ، خادما كبيرا للانسانية لانه اخرج فرنسا من حرب الجزائر .

وكثير من الاميركيين يعتقدون بأنكم اذا اعترفتم بأخطائكم في الفيتنام ، فان نفوذكم سيضعف بشكل غير

— التتمة على الصفحة ٦١ —

حرب الفيتنام و ((الهيبي))

ــ تتمة المنشور على الصفحة ١١ ــ

***

محتمل ، وان العالم لن يكن لكم بعد ذلك الا الاحتقار . والعكس هو الصحيح . ليس ثمة الا عرفان نحو فرنسا لانها حررت العالم من الكابوس الجزائري . فان حربا جزائرية او حربا فيتنامية ، في العالم الراهن ، ليستا بعد قضايا محلية ، بل هما تشكلان تهديدا للجنس البشري .

ــ انستطيع حقا ان نشبه الجزائر بفيتنام ؟ لقد كانت الجزائر ، بعد كل حساب ، مستعمرة فرنسية قبل ان تعتبر جزءا لا يتجزأ من فرنسا ــ من قبل الفرنسيين. اما الفيتنام فليست مستعمرة اميركية .

ــ حقا ؟ انني لا اعتقد انكم قد **اردتم** ان تجعلوا منها مستعمرة . لقد برهنت الولايات المتحدة عن تجردها في هذا الميدان حين منحت الفيليبين الاستقلال . وانا لا اعتقد ان اميركا كانت **تريد** في الاصل استعمار الفيتنام. ولكن الامر قد تم **عمليا** . لقد تصرفتم بالشكل الذي مكنكم من ان تجعلوا منها مستعمرة ــ يقوم فيها الجنود مقام المعمرين . انني افهم ان يعاني الفرنسيون من مغادرة الجزائر : فقد كان لهم فيها مليون معمر مرتبطين بوطنهم الجديد . ولكن ليس في الفيتنام معمرون اميركيون . وستجد اميركا صعوبة اقل مما وجد ديغول حين فعل ما فعل . واذن ، فأنا مصر على سلامة المقارنة .

ــ ولكن الرأي العام الاميركي مقتنع اجمالا باننا في الفيتنام نناضل ضد العدوان الشيوعي ، واننا اذا تركنا الشيوعية تستولي على الفيتنام ، فيسأتي عما قريب دور بحلم لينين انما هو الشعب الاميركي !

ــ صحيح ان لينين كان قد كون الحلم ، بعد ان تكسب الشيوعية روسيا، باقامة تحالف كبير مع الشعوب الملونة والمستعمرة ليستأصل الاقلية الرأسمالية من العالم . والطريف ان الشعب الوحيد الذي ما يزال يؤمن بحلم لينين انما هو الشعب الاميركي !

لقد خيب اليوغسلافيون ثم الصينيون الروس خيبة عظيمة . واعتقادي اننا جميعا قوميون اولا ، ثم شيوعيون او رأسماليون . ان يوغوسلافيا وروسيا وفيتنام الشمالية وجبهة التحرير الوطنية لفيتنام الجنوبية والصين ومنغوليا الخارجية تقدم لنا كل يوم الدليل على ذلك . ان ما تحاربونه في الفيتنام انما هو القومية ، لا الشيوعية . وان ثلاثة ارباع البشر لا يهتمون كثيرا بالشيوعية او بالرأسمالية . فهاتان الكلمتان لا تعنيان لهم شيئا . فأي فرق ، بالنسبة لفلاح فيتنامي ، ان يعيش تحت حكم رأسمالي او شيوعي ؟ ان كل ما يهمه هو ان تكون هذه الحكومة صالحة اوسيئة .

ــ لنفرض ان تحليلك صحيح ، أليس لنا ما نخشاه من القومية الصينية او الفيتنامية ؟ وما نحاربه في فيتنام الجنوبية ، اذا لم توجد هناك شيوعية ، أليس هو نزعة التوسع الصيني ؟

ــ لنتأمل الامر قليلا . ان اميركا تستنفد قواها في الفيتنام حيث لم تجازف الصين حتى الآن بجندي واحد . ان الصين تقاوم الولايات المتحدة بواسطة الفيتناميين . ونحن نكف عن ان ننظر الى ابعد من انوفنا بمجرد ان يتعلق الامر بالصين. اما الفيتناميون فيدركون، هم ، انهم يقاتلون من اجل ملك الصين . ان بلدا اسيويا لا يدخل التاريخ ، في نظر الاميركيين ، الا يوم يصبح شيوعيا . وعلى هذا الاساس يبدأ التاريخ الصيني عام ١٩٤٩ ، والتاريخ الفيتنامي يوم أصبحت الفيتنام شيوعية ــ لقد نسيت العام . ولكن انقضى الفا عام على الفيتنام وهي امة ، وانقضى عليها الفا عام وقضيتها السياسية الكبرى هي ان تتجنب السيطرة الصينية . اتعتقدون ان الفيتناميين قد نسوا ذلك ؟ اظن ان الفيتنام اذا توحدت ، فسوف تتوحد بحكم شيوعي،ولكنها الشيوعية على طراز تيتو . وسوف تشكل فيتنام هو شي منه ، بهذا الوضع ، حاجزا امام التوسع الصيني في جنوب شرق اسيا لا يقل صلابة عن حاجز يوغسلافيا تيتو امام التوسع الروسي في اوروبا .

انني لا احب القومية ، ولكني ارى فيها احدى القوى التي تقود العالم . وحيثما وقع صراع داخلي بين القومية وبين ايديولوجية ما ، فان القومية هي التي تنتصر .

صدر هذا الشهر

رحلة عبر المراهقة

تاليف دوريس أودلم

ترجمة الدكتور فاخر عاقل

اول كتاب في اللغة العربية يدرس المراهقة والمراهقين على ضوء مبادىء علم النفس .

كتاب مفيد في كل منزل .

منشورات نزار قباني

ص.ب ٦٢٥٠

بيروت

ـ واذا انسحبت اميركا من الفيتنام ، الا يكون ذلك بدء سياسة التخلي ؟ وهل نسينا سياسة « التخلي » المجنونة لاعوام ١٩٣٠ ؟

ـ كنت وما ازال مذهولا بالشر الذي خلفه نفيل تشمبرلن بعد وفاته . اننا نسمع غالبا ، بصدد اي شيء، عبارة : « هذه سياسة على طريقة تشمبرلن ، ولسنا راغبين بها . » ومن المهم تمييز كل حالة خاصة . **فانطوني ايدن مثلا ارتكب خطأ فاحشا تجاه عبد الناصر . لقد خشي ان « يتخلى » امامه ، فكانت كارثة السويس عام ١٩٥٦ . ولكن جادين : فان عبد الناصر ليس هو هتلر !**

ثم انه ليس ثمة في رأيي « عالم شيوعي » يقارن بما كان يمكن ان يكون « كتلة المحور » في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية . وانا لا اعتقد ان الروس يسعون الى محاربة الولايات المتحدة ، بل اذهب الى القول انهم يسعون الى تجنبها ، في حين ان هتلر كان يريد حربه . فالموقف مختلف . بل يمكن القول انه منقلب رأسا على عقب . فالمسألة هي معرفة الحد الذي يمكن ان تبلغه روسيا والصين في سياسة «التخلي» التي تتبعانها تجاه الولايات المتحدة . وليس هذا يعني ان اميركا ترغب في الحرب ، ولكن هنا بالذات يكمن الخطر . فكم قد سمعت من الاميركيين من يقول بلهجة مكتفية : « اوه ! لقد ثبت الآن ان روسيا والصين لن يكون لهما رد فعل . من ذا الذي كان يعتقد ، منذ عامين فقط ، اننا سنتمكن من قصف فيتنام الشمالية كما نفعل الآن من غير ان يجر ذلك علينا اية عاقبة؟ » ولكن بقاء روسيا والصين سلبيتين حتى الآن لا يعني انهما مستعدتان لتحمل كل شيء . سيكون ذلك ارتكابا للخطأ نفسه الذي ارتكبته المانيا قبل كل من الحربين الماضيتين . فهما قد اندلعتا ، في نهاية الامر ، لان المعسكر المعادي لم يكن يستطيع بعد ان يتراجع امام المانيا . « اننا لا نستطيع ان ندع الالمان يحرزون انتصارا آخر ، والا فلن يقفوا » . هذا ما كان يقال عام ١٩١٤ وعام ١٩٣٩ ... وانا اخشى ان تقترب اميركا الآن من اللحظة التي تمضي فيها اكثر مما ينبغي تجاه الروس والصينيين . ان الصينيين كالعرب : انهم يقذفون النار واللهب كلاما ، ولكنهم حذرون جدا في الواقع . غير انهم قد يضطرون الى القتال .

ـ ولكن كيف تستطيع اميركا ان تنسحب من هذه الحرب ، اذا افترضنا انها تريدها ؟ كيف يمكننا ان نتخلى عن التزاماتنا بادنى ثمن ؟

ـ هذا بالطبع سؤال هام . انني من انصار وقف القصف بلا قيد ولا شرط . وهذا ما يصعب قبوله لدى ادارة جونسون التي تعتبر هذا هدية بلا مقابل . ولكني اؤكد ان ذلك سيعود على الاميركيين بالكسب : سيكسبون امكانية اخراج الولايات المتحدة من الحرب . والمرحلة الثانية : تكتفي القوات الاميركية بأن تبقى في مواقعها من غير ان تسعى الى مد سلطتها على اجزاء اخرى من الاراضي . والمرحلة الثالثة : التطبيق الكامل لاتفاقيات ١٩٥٤ ، مهما كانت نتائجها . ان دالاس لم يكن راغبا في تطبيقها ، لانه كان يعتقد ، وهو على حق ، بأن الشيوعيين سينتصرون في حال اجراء انتخابات حرة . تشخيص صحيح ، وسياسة رديئة ! ...

ـ هل تعتقد اذن بأن حكومة فيتنام الشمالية ستكون متعاونة بما فيه الكفاية لتسمح بقيام انتخابات حرة في المناطق التي تشرف عليها ؟

ـ انني على أي حال لا ارى كيف يمكن ان تجري انتخابات حرة ، ايا كانت ، في الفيتنام . فليس من اليسير تنظيم انتخابات في بلد تقوم فيه الحرب ، او على الاقل في مناطق القتال . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى، ليس في الفيتنام تقاليد ديمقراطية . ولكن ما عدد البلدان التي يوجد فيها تقاليد ديمقراطية ؟ يجب على أي حال محاولة القيام بالتجربة . واعتقد ان هو شي منه سينتخب في فيتنام بقسميها . وحين تتحقق وحدة القسمين ، يصبحان افضل حصن ضد التوسع الصيني.

ـ وأي مصير ينتظر الذين تورطوا مع الاميركيين ؟ اترانا لن نشهد مذبحة معممة ، في جزء كبير من البلاد ، حين يشرف عليها الشيوعيون ؟

ـ ان مصلحة الشيوعيين ستكون على العكس في بناء وحدة وطنية على قاعدة عريضة من المصالحة . وهم اذا لجأوا اليوم الى الارهاب ، فلأن الذين يقتلونهم هم عملاء الاميركيين ، ولانهم خصومهم في المعركة . اما حين تنتهي الحرب ويذهب الاميركيون ، فكل شيء سيتغير . من المؤكد ان عددا طيبا من الضباط الجنوبيين سيجد من مصلحته مغادرة بلاده ـ كالجنرال كي وكل طغمته ، على سبيل المثال . يجب عليكم ان تنقلوهم الى هوليوود وتجدوا لهم المساكن . ولكن البوذيين سيتفاهمون بكل تأكيد مع الشيوعيين ـ ومعظم سكان الفيتنام بوذيون . ولن تستطيع اية حكومة ان تبقى في الفيتنام من غير موافقة البوذيين ، وهوشي مينه يعرف ذلك اكثر من أي شخص آخر .

ـ هل بامكانك ، وقد زرت اميركا عدة مرات ، ان تقيِّم التأثير الذي تخلفه حرب الفيتنام في الولايات المتحدة نفسها ؟

ـ منذ عامين ، كان هذا التأثير ما يزال معدوما تقريبا . ثم ان الشعب الاميركي كان يفخر بأن يستطيع شن حرب من غير ان تتأثر حياته اليوم أي تأثر بها . اما اليوم ، فان تكاليف الحرب تثقل على المحافظ الاميركية وعلى الاسر الاميركية . فلا الصقور ولا الحمائم تعيش اليوم بعد في الزهو والرخاء . و « الشبان » انفسهم لا يتقبلون الوضع تقبلا حسنا . ان لنا ، انا وزوجتي ، حفيدا اميركيا يقترب من سن الاستدعاء ، وقد اصبحت حرب الفيتنام كابوس الطلبة الاكبر . فما الذي يمليه عليهم ضميرهم ؟ هل عليهم ان يخضعوا للاستدعاء ، ام

ان عليهم ان يرفضوا الخدمة العسكرية ويتحملوا نتائج رفضهم ؟ ذلك هو الخيار الممزق الذي يواجهه المراهقون. وقد فاقم ثورتهم على « طراز الحياة الاميركي » . وقد كان مقدرا لهذه الثورة ان تحدث حتى من غير الحرب ، ولكن الحرب جعلت منها مسألة اساسية .

ثم ان هناك الاطفال. اننا نحن أمام صبية في السادسة من عمرها كانت تثرثر معنا بصدد حرب الفيتنام وما يحدث هناك . وكانت تعيش الاحداث على شاشة التلفزيون كما لو انها تشاهد مسلسلا . وقد ادهشني بل صدمني حقا ان يكون لطفلة في هذا العمر مثل هذا الاتصال المباشر مع الحرب . وانا اخشى ان يبلد التلفزيون حس الاطفال تجاه الحرب : فان كل ما يحدث على الشاشة الصغيرة يبدو لهم « خداعا » و « بلفا » . وهم يتابعون الحرب كما يتابعون فيلما تطلق فيه النار الاصطناعية ولا يموت فيه الشرير حقا .

ـ الا تخشى ان يؤدي التوتر المعنوي الذي يخضع له السكان الاميركيون بسبب حرب الفيتنام الى عهد جديد من « المكارثية » ؟

ـ لم نبلغ هذا الحد ، حتى الآن . فالاميركيون يبدون وهم يعبرون عن آرائهم بكل حرية . ولكني أعتقد ان الحرب لن تلبث طويلا حتى تصبح على مفترق طرق : فاما ان ينمو الجهد العسكري الاميركي نموا كثيفا ، وهذا ما يوشك ان يقود الى جعل الحكم فاشيا ، واما ان نشاهد انقلابا في السياسة شبيها بذلك الذي احدثه ديغول في الجزائر ، يعني انكم في هذه الحالة ستعترفون باخطائكم وتتخلون عن سياستكم .

اما اذا سلكت اميركا طريق الحرب ، واذا استمر التصعيد ، فيخشى حقا من انبعاث للمكارثية . وتحتاج الولايات المتحدة ، حتى في الظروف العادية ، الى قدر من الشجاعة يفوق ما تحتاجه بلاد اوروبا الغربية للدفاع عن نظريات الاقليات .

اننا نتذكر ، اذا استعدنا الماضي ، أن « الآباء الحجاج » كانوا مفرطين في عدم تسامحهم . وانا أفكر احيانا هنا بأن انكلترا قد دللت على حكمة عظيمة . ففي القرن السابع عشر ، ارسلت الى مستعمراتها الاميركية جميع هؤلاء المتعصبين ، كما فعلت تماما بالجانحين عندها . واجتاز البيوريتانيون الاطلنطيك مصممين على ان يمارسوا ، بطريقتهم ، الدين الذي اختاروه . ولكن حين ظهر « الكويكرز » بعد ذلك بقليل ، عذبوهم بالقسوة نفسها التي كانت الكنيسة الانغليكانية قد عذبتهم بها . ونستطيع ان نكتشف هذه النزعة الطهرية في تاريخ الولايات المتحدة كله . وحتى في العهد الفكتوري ، كان الاميركيون اقل تساهلا من الانكليز . ورأي الاكثرية اثقل وزنا على الفرد المعزول عندكم مما هو عندنا .

وانا اعجب لهذه العبارات : « المعادي لاميركا » ! لجنة « النشاطات المعادية لاميركا » ! ان «لجنة للنشاطات المعادية لبريطانيا » ستكون شيئا مستحيلا في برلماننا : فذلك يثير الضحك اكثر مما ينبغي ! وهل تتصورون « لجنة لقمع النشاطات المعادية لفرنسا » ؟ لقد ساء الوضع على مر السنين . وفي الفترة التي كنت اكتشف فيها اميركا للمرة الاولى ، كانت اميركا أمة بلا عقد . أما اليوم ، فهي تخشى الاخطار التي قد تأتيها من الخارج . واذا تفاقمت الحرب ، فيمكن ان يؤدي ذلك الى قيود على حرية الرأي .

ـ اعتقد انك كنت مهتما جدا باكتشاف ظاهرة « الهبي » في الولايات المتحدة ؟

ـ ليست معرفتي بهذه الحركة الا سطحية بالطبع، ومع ذلك فهناك نقطة قد استلفتت نظري . ليس « الهبيون » ابناء فقراء ، بل هم اولاد مدللون . انهم اشخاص قد اكلوا من الحلوى ما اثار لديهم الغثيان ، فهم لا يشبهون في ذلك اولئك الذين يأكلون الحلوى للمرة الاولى ، ويطلبون المزيد منها . ولا يمكننا ، وهم كذلك ، ان نشبههم ب « المودز » او ب « الروكرز » الانكليز ، المتحدرين عموما من الاسر العاملة التي لم تعرف المال الا حديثا . ان « المودز » و « الروكرز » لا يريدون كسب المال الا لينفقوه على هواياتهم بالملابس والدراجات النارية. اما « الهبيون » فيرتبطون بمرحلة اكثر تقدما من مراحل التطور الرأسمالي . انهم يظهرون رد فعل حماسيا ضد « طراز الحياة الاميركي » . وهم يرفضون ان يعملوا ، ويكتفون بالوقوف حذاء جدران المدرسة او الكلية ، وينادون قائلين : « سوف نتناول المخدرات ، وسنعيش من الاحسان العام ، وسنستعطي . » وهذه نظرية ماو تسي تونغ ، في احدى جوانبها .

كيف ذلك ؟ الحق ان خصوم ماو هم التكنوقراطيون، اولئك الذين يريدون ان يعصّروا الصين وان يجعلوا منها بلدا متقدما . اما ما يهم ماو ، في الدرجة الاولى ، فهي الثورة من اجل الثورة. وقد شجع الشبان الصينيين على ان يتركوا عملهم ويوقفوا دروسهم لينزلوا الى الشارع. هناك طبعا اختلاف : وهو ان ماو يؤمن بالعنف ، في حين ان الهبيّين يؤمنون بالحب واللاعنف .

ـ ولكن هل لدى الهبيين أي شيء ذي قيمة يقولونه او يقدمونه لاميركا ؟

ـ اعتقد ان نعم . يحق لذويهم البورجوازيين الذين يعملون بقسوة ان يقولوا لهم : « ربما كان صحيحا ان طريقتنا في العيش ومثلنا الاعلى ليست لهما قيمة كبيرة. ولكن **انتم** ، ماذا تفعلون بحياتكم ؟ ربما كنتم على حق في ادانتنا ، ولكن ما هو **حلكم البديل** ؟ اي نوع جديد من طراز الحياة تنوون ان تبنوا ؟ » ولن يصل الهبيون الى شيء اذا لم يكن لديهم جواب حاضر . اتراهم سيحصلون يوما على جواب ؟

ان هناك بعض علامات تبدو لي مشجعة . هناك مثلا « الكهوف » ، واصحابها ، على ما قيل لي ، اشخاص

يحاولون ان يحصلوا للهبيين على وظائف تنسجم مع وساوسهم الضميريه . وقد وجد بعض الهبيين اعمالا في الريف : فهم يزرعون الخضار ، ويصنعون سلعا صغيره . فاذا قبلوا ، والحالة هذه ، ان يصبحوا اعضاء اسوياء ، عملاء انتاج في مجتمع يدخلون فيه روحا جديدة، مجتمع ليس المال فيه هو الهدف الاكبر ، فانهم يستطيعون ان يمنحوا اميركا اسلوب حياة جديدا .

ـ غالبا ما يقال بأن تقدم التكنولوجيا سيسمح عما قريب بالتخفيف من عبء العمل عن معظم البشر . وستكون المشكلة الكبرى هي كيف يقضي الانسان اوقات فراغه . فلعل بالامكان آنذاك تطبيق الفلسفة « الهبية » : سيقضي الانسان نهاره جالسا مع اصحابه في حلقة يدخنون المارجوانا ...

ـ لا . لا اعتقد ان ذلك سيكفي الانسان . ان الانسان بحاجة الى تحقيق ذاته باعمال اكثر ايجابية . فلنعد الى الهند . فلو كان كل هندي ينعم بمستوى للحياة شبيه بمستوى البورجوازية الاميركية ، فانه لن يتساءل ما عساه يفعل . انه لن يبقى جالسا على الارض يتناول المخدرات . بل سيكرس أفضل ملكاته لممارسة حس واحد ـ حس التأمل ـ الذي لم يعد موجودا تقريبا في الغرب . ان التأمل هو عمل ايجابي ، ولم يكن ناس القرون الوسطى ينقصون قدره . لقد كان القديسون والرهبان وآخرون أيضا ، عاطلين عن العمل على نحو ما ، ولكن حس الروحي عندهم لم يكن معطلا .

ان الغرب ، في القرون الاخيرة ، قد أولى الحياة التأملية ظهره . وقد جعلنا اكتساب الرفاه والترف أغنياء ماديا . أما روحيا ، فنحن فقراء .

وأعتقد ان الوقت قد حان للعودة الى الروحي ، الى الدين . انني لا أتحدث عن الاشكال الخارجية مثل حضور القداس وانشاد بعض الصلوات والادعية . فمنذ أكثر من قرنين أفرغ الدين المنظم من كل محتوى ، ولما كنا قد انصرفنا عن الممارسة ، فقد التمسنا معوضات ايديولوجية أو سياسية ، ولكن هذه المعوضات أبقتنا على جوعنا . وانا لا أعتقد ان للايديولوجيات الحالية مستقبلا.

انني أعني بالدين شكله الداخلي الروحي . ان الحس الديني ـ خلافا للمواهب الفنية أو العلمية او التكنيكية ـ يرسو في قلب كل كائن بشري . وعلى الانسان أن يعرف كيف يعثر عليه من جديد في قلبه ، لانه يبقى عموما خبيئا ، الا في الازمات الكبرى .

لقد عثرت مرة على صحيفة « هبية » في سان فرنسيسكو ، فأدهشتني لهجتها ومحتواها الديني ، لا بالمعنى التقليدي ، بل بأوسع المعاني . ان كلمتهم الاولى هي «الحب» ، والرب هو « محبة » . فكروا بالمسيحيين الاوائل ، وتذكروا الفقرات الاولى من « أعمال الرسل » . لقد بدا الرسل ، يوم عيد العنصرة ، وكأنهم قد أصيبوا بالجنون : ذلك انهم قد تلقوا هبة اللغات ... كان الناس يقولون : « الحقيقة انهم قد شربوا فثملوا ! » فأجابهم بطرس : « ان الساعة هي التاسعة صباحا ، وحتى لو كنا سكارى عرابيد ، فهذه ساعة نادرا ما يسكر فيها المرء » .

وكان أن تخلى جميع الرسل عن أعمالهم . فمن كان يملك منهم شيئا باعه ، ووزعوا ثمرة البيع على المجموع. وهذا أشبه « بالهبي » .

وبعد ذلك ، تطور المسيحيون ، في العهد الذي فرضوا فيه دينهم على الامبراطورية الرومانية ، بين القرنين الثاني والثالث . كانوا ما يزالون مسيحيين ، ولكنهم كانوا قد فقدوا هبة اللغات ، وكفوا عن أن يعيشوا من غير أن يعملوا . لقد مروا بمرحلة « هبية » ، ولكنهم في نهاية المطاف أقاموا مجتمعا جديدا وايجابيا اكثر انسجاما مع العالم الذي نعيش فيه . ولو كنا قد عشنا في عهود المسيحيين الاول ، لكنا قلنا ونحن نراهم يفعلون ذلك : « انهم «هبيون» حقيقيون . ولن يؤدي ذلك الى شيء » . وكنا نكون على خطأ في هذا الحكم .

ترجمة « الآداب »

صدر حديثا

مذكرات طه حسين

اروع ما كتبه الاديب العربي الكبير
عن حياته بين الازهر وباريس ..

- على باب الازهر
- كيف سقطت في امتحان العالمية !
- اثر اختفاء المرآة ...
- عندما خفق القلب لصوت الانسة مي ...
- استاذي يدعو علي بالشقاء !
- كيف تعلمت الفرنسية لاسافر الى باريس

- الفلسفة المفسدة .. والاكل بالشوكة والسكينة !
- استاذ جامعي بخمسة جنيهات !
- قاضي الغرام بين الفتية المصريين !
- الصوت العذب ...
- حياة جديدة في الحي اللاتيني ..
- قصة حبي ...

المذكرات التي تنشر لاول مرة في كتاب يصدر عن دار الاداب ـ بيروت